



**الربانية خصيصة**

**من خصائص السيرة النبوية**

أحمد الريفي

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الربانية خصيصة من خصائص السيرة النبوية**

# مقدمة

**الحمد** لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على من أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ورضي الله عن صحابته الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون.

**أما بعد**، فلا شك أن دراسةَ سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعرفةَ خصائصها وتفاصيلها أمرٌ من الأهمية بمكان، وإذا كان العلم يشرف بشرف معلومه، فالمعلوم في علم السيرة هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم -، ولقد كان السلف الصالح يقدرون للسيرة النبوية قدرها، وكانوا يحفظونها كما يحفظون السورة من القرآن، ويتواصوْن بتعلُّمها وتعليمها لأبنائهم، ذلك أن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هي سيرةُ حياة صُنعت على عين الله عز وجل، سيرةٌ جمع الله لصاحبها في حياته كلَّ ما تفرق في حياة الرسل والأنبياء السابقين فهي سيرة ملخصة جامعة للحياة الإنسانية في أكمل تفاصيلها، وأبهى صورها، وأرقى مدارجها، سيرةٌ جعل الله القدوةَ الكاملة والأسوة الصالحة، منحصرةً في شخص صاحبها، وجعل كلَّ الطرق مسدودةً إلى باب الجنة إلا من اقتفى أثرها وسلك منهجها وطريقها، قال تعالى:{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الاخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } "الأحزاب 21".

لذلك كان لهذه السيرة العطرة على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التسليم،-كان لها- خصائصُ ومميزات، تميزها عن غيرها من السير، وتجعلها سيرة لا تقاس بغيرها، بل هي المعيار والنموذج لكل السير قُرْباً وبُعداً، ومن أبرز خصائصها بل وعلى رأسها: " **خصيصة الربانية** " وهي عنوان هذا البحث المتواضع، وهو عبارة عن مقدمة أو مدخل عام للدخول في هذا الموضوع –**ربانية السيرة النبوية**- الذي لا تكفيه مثل هذه البحوث المختصرة، وقد كان سبب اختياري لهذا الموضوع هو قلةَ الدراسة حوله إن لم تكن منعدمة، ثم محاولةَ معرفة خصائص السيرة النبوية، هذا وقد جعلت هذا البحث في الخطة التالية:

**المقدمة، وقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وهو ما مر معنا.**

**المبحث الأول، وكان الحديث فيه عن مفهوم الربانية وجاء بمطلبين: المطلب الأول: تعريف الربانية لغة واصطلاحا. والمطلب الثاني: السيرة النبوية بين الربانية والعصمة، وقد أشرت فيه إلى الفرق بينهما**.

**المبحث الثاني، تجليات الربانية في السيرة النبوية، وتحته مطلبان كذلك، الأول: من تجليات الربانية قبل البعثة النبوية، والثاني من تجليات الربانية بعد البعثة النبوية، ثم الخاتمة وهي عبارة عن التذكير بما تقدم، ثم ما خلص إليه العرض من نتائج.**

# المبحث الأول:

# مـفهــوم الربـانيـة

## المطلب الأول: تعريف الربانية:

**لغة**: قال ابن فارس: " **(رَبَّ) الرَّاءُ وَالْبَاءُ يَدُلُّ عَلَى أُصُولٍ. فَالْأَوَّلُ إِصْلَاحُ الشَّيْءِ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِ. فَالرَّبُّ: الْمَالِكُ، وَالْخَالِقُ، وَالصَّاحِبُ. وَالرَّبُّ: الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ. يُقَالُ رَبَّ فُلَانٌ ضَيْعَتَهُ، إِذَا قَامَ عَلَى إِصْلَاحِهَا(...)وَالرَّبُّ: الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ. وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الرَّبُّ; لِأَنَّهُ مُصْلِحُ أَحْوَالِ خَلْقِهِ. وَالرِّبِّيُّ: الْعَارِفُ بِالرَّبِّ** "[[1]](#footnote-1) والربانية ـ كما يقول علماء اللغة العربية ـ مصدر صناعي منسوب إلى "الرب"، زيدت فيه الألف والنون، على غير قياس، ومعناه: الانتساب إلى الرب، أي: الله، سبحانه وتعالى، ويطلق على الإنسان أنه "رباني" إذا كان وثيق الصلة بربه، عارفاً بالله، وعالماً بأمر الله، ومعلماً لذلك، مستحضراً لعظمته وجلاله، معظماً لأمره ونهيه، وفي كتاب الله عز وجل: { **وَلَكِن كُونُوا رَبَّنِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تَعَلَمُونَ الْكِتَبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ } "آل عمران 78"([[2]](#footnote-2)**)

**اصطلاحا:** قال أبو جعفر الطبري في تفسير الآية الآنفة الذكر، بعد ذكره لأقوال السلف في هذه الآية –قال – والرباني: الحكيمُ التقيُّ لله، والوالي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وَليه المقسطون من المصْلحين أمورَ الخلق، بالقيام فيهم بما فيه صلاحُ عاجلهم وآجلهم، وعائدةُ النفع عليهم في دينهم، ودنياهم [[3]](#footnote-3). قال ابن عباس رضي الله عنهما: " والرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره " قال الإمام القرطبي: – تعليقا على كلام ابن عباس-" وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور"[[4]](#footnote-4)

وهذه المعاني وغيرُها للربانية هي التي تعنينا هنا، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو سيد الربانيين، فهو الحكيم التقي، وهو الوالي المقسط، وهو القائد المصلح، وهو البصير بأمور رعيته، والمشفق على أمته، وهو الحريص على أمر صلاح دينهم ودنياهم، وهو المربي بصغار العلم قبل كباره، وبالتالي فهو الجامع لكل معاني الربانية علماً وعملا، ودعوة وجهاداً، وهو قبل ذلك وبعد ذلك نبي ورسول من عند الله عز وجل، وسيرته هي سيرة ربانية، مصدراً وتوجيهاً وغاية كما سنرى إن شاء الله في المبحث القادم.

## المطلب الثاني: السيرة النبوية بين الربانية والعصمة

إن الحديث عن الربانية كخصيصة من خصائص السيرة النبوية يقتضي ذكر الفرق بينها وبين مسألة "العصمة"، حتى لا يختلط الموضوع على البعض، فالعصمة تحدث عنها العلماء فيما يتعلق بصفات الرسل وما يجب في حقهم وما يجوز وما يستحيل، وخلاصة مفهوم العصمة هي اعتقاد المسلم عصمةَ الرسل في تبليغهم الوحي، وعصمتَهم من الكبائر والصغائر التي تدل على خسة الطبع وسفول الهمة، على اختلاف –طبعا-بين العلماء فيما يتعلق بالعصمة من الصغائر ومفهومها.

##### أما الربانية كخصيصة من خصائص السيرة النبوية فهي تعني: العناية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم في سيره وحركته، وعمله ودعوته، عنايةَ حفظ وتوفيق وتسديد وترشيد، وهي المقصودة بالحديث هنا، إذ السيرة النبوية بمفهومها الشامل هي سيرة ربانية لكنها سيرة غير معصومة، وإن كانت العصمة جزءا منها كما سبقت الإشارة فيما يتعلق بالتبليغ، والأدلة على ذلك كثيرة معروفة، وإلا لو كانت السيرة معصومة لما كانت موضعاً للقدوة، وموطنا للأسوة، وعلى هذا يفهم حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم قالت: " كان خلقه القرآن"[[5]](#footnote-5) وبالتالي فالسيرة النبوية كلها هي سيرة ربانية بهذا المفهوم، فقد صُنعت على عين الله عز وجل في كل خطواتها وفي جميع مراحلها، فقد كان عليه الصلاة والسلام في بعض تصرفاته إذا أخطأ قوم الوحي له خطأه وسدد فعله، كما كان هو يقوم ويسدد تصرفات أصحابه رضي الله عنهم، ومن هنا كانت سيرته عليه الصلاة والسلام معياراً لكل سير الربانيين والمصلحين من هذه الأمة وكانت هي النموذج والقدوة في كل شيء كما قال تعالى:{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } "الأحزاب 21".

##### والخلاصة أن الربانية هي السمة الأولى والرئيسة للسيرة النبوية، لأن هذه السيرة تمثل الترجمة التفسيرية للوحي الإلهي، والتطبيق العملي للقرآن الكريم، فهي ربانية المصدر والتوجيه، وإنسانية الحركة والتطبيق، وهي كذلك ربانية الغاية والوجهة.

# المبحث الثاني

# من تجليات الربانية في السيرة النبوية

## المطلب الأول: من تجليات الربانية قبل البعث النبوة:

##### إن الناظر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ ولادته، بل وقبلها إلى بعثته ثم إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، سيلاحظ آثاراً واضحة للعناية الإلهية والتجليات الربانية، أحاطت حياته صلى الله عليه وسلم بالحفظ والرعاية في كل تفاصيلها، وفي مختلف مواطنها، كيف لا وهي سيرة أعظم مخلوق وُجد على وجه الأرض منذ آدم وإلى قيام الساعة والذي قال عنه ربه:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم }" القلم 4"

##### ونعد من هذه التجليات الربانية ولا نعددها:

##### - قصة أصحاب الفيل: لا يمكن إغفال الحديث عن قصة أصحاب الفيل في الكلام عن التجليات الربانية، والعناية الإلهية للسيرة النبوة، فقد كانت مقدمة ربانيةً، وتهيئةً إلهية للبعثة النبوية، وكانت حدثاً عظيماً ارتبط ارتباطاً وثيقاً بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، وكأنما هو تهييئ رباني لحياة جديدة ستولد بميلاد هذا النبي العظيم، وقد نزلت سورة كريمة فيما بعد تتحدث عن قصة أصحاب الفيل، وسميت بسورة الفيل، وكان ذلك في العام الذي ولد فيه النبي عليه الصلاة والسلام كما هو معروف. قال ابن كثير:" كان هذا من باب الإرهاصات والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم -يا معشر قريش-على الحبشة لخيريَّتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه" ([[6]](#footnote-6)

##### - قصة رضاعته وطفولته صلى الله عليه وسلم: وقد تجلت العناية الربانية فيها تجلياً عظيماً، وذلك بداية من رضاعته وما واكبها من بركات وإرهاصات، وقد تواتر ذكرها في كتب الحديث والسير، ثم ما يسر الله له من كفالته وحسن رعايته، وقد امتن الله عليه بذكر هذه العناية الإلهية والمنن الربانية في قوله: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى }

##### قال ابن كثير: " وذلك أن أباه تُوفّي وهو حَملٌ في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد، عليه السلام، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ستُّ سنين. ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب. ثم لم يزل يحوطه وينصره ويَرفع من قَدره وَيُوقّره، ويكفّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحُسن تدبيره "([[7]](#footnote-7) )

##### - حفظه من أدران الجاهلية وآثامها وانحرافاتها: فقد حفظه الله عز وجل من كل أدران الجاهلية، وأوساخها وانحرافاتها، رغم أنه يعيش في وسطها ويتحرك بين أحضان أهلها، "فقد طالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشؤون الناس وأحوالَ الجماعات، فعاف ما سواها من خرافة، ونأى عنها، ثم عايش الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجده حسناً شارك فيه، وإلا عاد إلى عزلته العتيدة فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل مما ذبح على النصب، ولا يحضر للأوثان عيدا، ولا احتفالا، بل كان من أول نشأته نافرا من هذه المعبودات الباطلة، حتى لم يكن شيء أبغضَ إليه منها، وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى. ولا شك أن القدر حاطه بالحفظ، فعندما تتحرك نوازع النفس لاستطلاع بعض متع الدنيا، وعندما يرضى باتباع بعض التقاليد غير المحمودة تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها، روى ابن الأثير: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمرَ بها كما يسمر الشباب! فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزْفاً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع. فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا حرُّ الشمس. فعدت إلى صاحبي فسألني، فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة فأصابني مثل أول ليلة ... ثم ما هممت بسوء»([[8]](#footnote-8) ) وهذا ما يفيده قوله تعالى:{ وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدى } قال الطبري: "قيل: عُنِيَ بذلك: ووجدك في قوم ضٌلال فهداك."[[9]](#footnote-9) أي هداك بحفظك من الوقوع فيما وقعوا فيه هم من ضلال في العقيدة وانحراف في السلوك، فأحاطتْك العنايةُ الربانية رغم أنك بين ظهرانيهم . ومما يدخل في هذا أيضا ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:" لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلاَنِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ العَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَرِنِي إِزَارِي» فَشَدَّهُ عَلَيْهِ" [[10]](#footnote-10) وفي رواية: فما رُؤيت له عورة بعد ذلك .وتلخص خديجةُ أم المؤمنين رضي الله عنها حياتَه الربانية قبل البعثة بقولها له -تذكيراً له بسابقته - حينما نزل عليه جبريل في الغار بالوحي لأول مرة وخاف على نفسه: «أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» ، فَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ... »[[11]](#footnote-11)

##### - عزلته وخلوته بنفسه: وهي لا شك من العناية الربانية له صلى الله عليه وسلم، إذ هذه العادة لم تكن معروفة في قومه، فقد كان صلى الله عليه وسلم – بالإضافة إلى نفوره من أدران الجاهليه وأوساخها وانحرافاتها مما كان عليه قومه وهو ما يسمى بعزلة الضمير،- بالإضافة إلى ذلك – كان ينعزل عن قومه ويخلوا بنفسه بين الحين والآخر من أجل التأمل في ملكوت الله وعظيم صنعه، ليلهج لسانه بذكر الله، ويخشع قلبه لجلال الله وعظمته، وقد ازدادت هذه الحالة عنده أكثر قبيل البعثة، إيذاناً بها كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.([[12]](#footnote-12) )

## المطلب الثاني: من تجليات الربانية بعد البعثة النبوية

إن الحديث عن **الربانية** في السيرة النبوية بعد البعثة هو حديث عن مسايرة التوجيه الرباني لكل خطوة من خطواتها، وحضورٌ للوحي في كل مفاصلها وتفاصيلها، ذلك أن السيرة النبوية ما بعد البعثة، هي سيرة بناء حياة جديدة تقوم على الوحي الذي كان يتنزل نجوماً حسب الأحداث والوقائع والحاجات، والتدرج في تربية جيل الصحابة، ولذلك كان الوحي هو المصدر الأساس لربانية السيرة النبوية، ولمنهجها وكل خطواتها في الحياة، فلم يأت منهجها نتيجة لإرادة الرسول صلى الله عليه وسلم وتخطيطاته وتفكيره وعبقريته –كما يقال – وإن كان كل ذلك حاضرا وداخلا تحت العمل بالأسباب مما أمره الله به في هذه الحياة، وإنما جاء لإرادة الله الذي أراد به صلى الله عليه وسلم ولهذه البشرية من خلال سيرته، الهدى والنورَ والطريقَ الأقوم، كما قال تعالى مخاطباً رسوله:{ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنَ اَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَبُ وَلَا الايمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الارْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ }** " الشورى15/25 **"**وحسبنا في هذا المطلب أن نقف فقط وأن نشير على سبيل المثال لا الحصر إلى المحطات الكبرى التي تمثلت فيها سمة الربانية تمثلا عجيباً، وكانت معالمها بارزة وحاضرة بقوة، والكلام هنا ليس عن حديث القرآن عن تفاصيل السيرة النبوية كالحديث عن طفولة النبي صلى الله عليه وسلم، وعن بداية الدعوة والأمر بالجهر بها، والحديث عن الغزوات إلخ، مما ورد في القرآن الكريم ([[13]](#footnote-13)) وهو لا شك يدخل في مفهوم ربانية السيرة، وإنما فقط عن تلك العناية الإلهية التي تمثلت معالمها في الانطلاقات الكبرى لأحداث السيرة النبوية، وهي تدل على غيرها من التفاصيل الأخرى التي ذُكرت في ثنايا السيرة العطرة، وأول هذه المحطات:

**- نزول آيات النبوة الأولى من العلق وما اشتملت عليه من ربطه عليه صلى الله عليه وسلم بربه الخالق الأكرم**: { **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ خَلَقَ الانسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الاكْرَمُ الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الانْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}** " العلق 1/5" فهي أول حبل رباني، وأول الهداية الإلهية، ذكَّره الله من خلالها بنعمة الخلق والإيجاد، والعطاء والإمداد. قال ابن كثير: (وهُنَّ أول رحمة رَحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم. وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كَرَمه تعالى أن عَلّم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة)[[14]](#footnote-14)

##### - تذكيره صلى الله عليه وسلم في الآيات التي أرسل بها بالصفات التي يجب عليه أن يتصف بها في تبليغ الدعوة وأداء الرسالة، من تطهير الباطن والظاهر، وتعظيم الله عز وجل والصبر على مشاق الطريق قال تعالى: { يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} " المدثر 1/7 " وهي الآيات الأولى التي أرسل بها، وأول ما نزل عليه فيما يتعلق بالتبليغ .

**-رحمة الله به وضمانُه لحفظ القرآن في صدره وبيانُه له،** قال جل وعلا**:** { **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءانَهُ \* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ \* ثُمَّ ِإنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} (القيامة: 16-19) .**

أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله**: { لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ } قال: "** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل عليه بالوحي وكان مما يحرك به لسانَه وشفتيه فيشتد عليه وكان يُعرف منه، فأنزل الله الآية التي في **{ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ }: { لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ }** قال: علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه **{ فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءانهُ}** فإذا أنزلناه فاستمع **{ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ }** علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله.[[15]](#footnote-15)

- **حفظ الله عز وجل له من مكر أعدائه له أثناء هجرته، بحبسه أوبقتله أو بإبعاده، ومعيتُه له ولصاحبه في الغار**، قال تعالى:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}"الأنفال 29/30" وقال سبحانه: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَ اَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَن انَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا..} "ا**لتوبة** 39" عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم، في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه. قال: فقال: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما" ([[16]](#footnote-16))

**- تحقيق وعد الله له بالنصر على أعدائه في غزوة بدر الكبرى بعد طول مناشدته إياه** ودعائه بالنصر على الأعداء حتى أشفق عليه أبو بكر من طول مناشدته، قال تعالى:{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } " آل عمران123 " **وقال سبحانه: {** وَاذْكُرُوا إِذَ اَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الارْضِ تَخَافُونَ أَن يَّتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَيكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تََشْكُرُونَ} " الأنفال 2.عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ» (وفي رواية اللهم إن تَهلك هذه العصابة لن تُعبد في الأرض) فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: {سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} **[القمر: 45] " [[17]](#footnote-17)**

وبالجملة فإن خصيصة الربانية والعنايةالإلهية للسيرة النبوية ظلت مصاحبة لها في كل حركاتها وسكناتها، وفي كل شأن من شؤونها التعبدية والدعوية والتربوية والجهادية، إلى أن انتقل صاحبها صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، هذا فضلا عن حديث القرآن عن كثير من تفاصيل السيرة النبوية وأحداثها ووقائعها مما اصطُلح عليه في بعض المؤلفات المعاصرة ب" السيرة النبوية في القرآن الكريم " أو " الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم " أو "حديث القرآن عن السيرة النبوية ".

هذا ولا أنسى أن أشير في الأخير إلى أن السيرة النبوية كما هي ربانية المصدر والتوجيه، فهي كذلك ربانية الغاية والوجهة، إذ أن صاحبَها عليه أفضل الصلاة والسلام عاش حياته كلَّها لله، ومن أجل مرضاته سبحانه، فقد ضحَّى بكل ما يملك، ترك بلدَه وأحبَّ البقاع إليه، وهاجر إلى الله عز وجل، فارق أهله وتنازل عن أعز ما يملك، تعرض للحصار والجوع، كما تعرض للحبس والقتل...كل ذلك لم يثنه عن تبليغ رسالة ربه، وأداء أمانته، ونُصْح أمته، لأن غايته كانت هي إخراجُ الناس من الظلمات إلى النور، إخراجُهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، كما جاء على لسان الصحابي الجليل ربعي بن عامر أمام زعيم الفرس.

# خــاتمــة

**وبعد:** فإن الحديث عن الربانية في السيرة النبوية، لا تكفيه هذه الوريقات، إذ الربانية كما سبقت الإشارة هي الطابع الذي طبع كلَّ تفاصيل السيرة النبوية وجرى في كل مفاصيلها، وأحاط كل جوانبها، العقدية والتربوية، والدعوية والفكرية، والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية والأخلاقية، فالسيرة النبوية دوحة عظيمة، وشجرة كريمة، أحاطها الله بعنايته، وسقاها بماء وحيه، وأحياها بروح كلامه، ففيها كلُّ الثمار اليانعة، ثمار العلم والمعرفة، وثمار الاقتداء والتأسي، وثمار الحياة والنور، فما أحوجنا لدراسة هذه السيرة العطرة، دراسة علمية منهجية، مستوعبة لمعالمها وخطواتها، وسياقاتها وأحداثها، مطلعة على مقاصدها وخصائها، مستخرجة لدروسها وعبرها، حتى نتحقق بالاقتداء بهذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، علماً وعملا ودعوة وجهاداً، فنحن أمة رسالة، ورسالتنا هي النهوض بهذا الدين وتبليغه للعالمين، ولن يكون لنا ذلك إلا بالرجوع إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم للاقتداء والتأسي والعمل، لأنها هي الترجمة العملية للقرآن الكريم، وهي الحياة النموذج والحياة المعيار ، والرجوع إلى السيرة النبوية يكون ب:

أ: دراستها دراسة علمية دقيقة، بتمحيص رواياتها، والنظر في سياقاتها الزمانية والمكانية.

ب: دراسة موضوعاتها انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

ج: معرفة مقاصدها وخصائصها لفهمها في ضوء ذلك.

د: استخراج دروسها وعبرها وربطها بالواقع العملي للأمة، لحل معضلاتها في ضوء ذلك.

# لائحة المصادر والمراجع

**القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

**1- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م**

**2ـ الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (المتوفى: 256هـ) دار الشعب ـ القاهرة ـ الطبعة:الأولى، 140 – 1987 عدد الأجزاء ثمانية في أربع مجلدات.**

**3 ـ الجامع الصحيح، المسمى: صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ( المتوفى: 261هـ) دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت عدد الأجزاء: ثمانية في أربع مجلدات.**

**4- جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: 310 ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة ط: 1420/ 2000**

**5- معجم مقاييس اللغة، للإمام أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ( المتوفى: 395هـ) تحقيق عبد السلام هارون، الناشر د ارالفكر، بدون تاريخ الطبع**

**6 - الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ( المتوفى: 671 هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري، نشر: دار عالم الكتب/ الرياض، السعودية: 1423/ 2003**

**7- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ( المتوفى: 774هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م**

**8- الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: 1427هـ) الناشر: دار العصماء – دمشق الطبعة: الأول 1427**

**9 -الخصائص العامة للإسلام، لأبي عبد الرحمن يوسف بن عبد الله القرضاوي حفظه الله تعالى، نشر مؤسسة الرسالة، ط 10 سنة الطبع: 1419هـ / 1999م**

# الفــهــرس

[**مقدمة 4**](#_Toc517877079)

[**المبحث الأول: 6**](#_Toc517877080)

[**مـفهــوم الربـانيـة 6**](#_Toc517877081)

[**المطلب الأول: تعريف الربانية: 6**](#_Toc517877082)

[**المطلب الثاني: السيرة النبوية بين الربانية والعصمة 7**](#_Toc517877083)

[**المبحث الثاني 8**](#_Toc517877084)

[**من تجليات الربانية في السيرة النبوية 8**](#_Toc517877085)

[**المطلب الأول: من تجليات الربانية قبل البعث النبوة: 8**](#_Toc517877086)

[**المطلب الثاني: من تجليات الربانية بعد البعثة النبوية 10**](#_Toc517877087)

[**خــاتمــة 14**](#_Toc517877088)

[**لائحة المصادر والمراجع 15**](#_Toc517877089)

[**الفــهــرس 16**](#_Toc517877090)

**وكتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضونه:**

**أحمد أبو زيد الريفي**

**ماجستير السيرة النبوية، أستاذ التربية الإسلامية بالتعليم الثانوي التأهيلي**

**باحث في الدراسات القرآنية والسيرة النبوية.**

**بمدينة آيت أورير من حواضر مدينة مراكش الحمراء/ المملكة المغربية**

**27جمادى الآخر 1439هجرية/ 14-03- 2018**

1. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ج: 2 ص 381 مادة " رَبَّ " [↑](#footnote-ref-1)
2. الخصائص العامة للإسلام، للشيخ القرضاوي ص 9 " بتصرف " [↑](#footnote-ref-2)
3. تفسير الطبري ج 6 ص 544 [↑](#footnote-ref-3)
4. الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص122 [↑](#footnote-ref-4)
5. صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام أو مرض، ج 1 ص 512 حديث رقم 647 [↑](#footnote-ref-5)
6. تفسير ابن كثير ج 8 ص 483 [↑](#footnote-ref-6)
7. تفسير ابن كثير ج 8 ص 427 [↑](#footnote-ref-7)
8. نقلا عن كتاب: الرحيق المختوم ص 80 [↑](#footnote-ref-8)
9. تفسير الطبري ج 24 ص 488 [↑](#footnote-ref-9)
10. البخاري كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها ج2 ص 146 [↑](#footnote-ref-10)
11. البخاري كتاب التفسير، باب ما ودعك ربك وما قلى، حديث رقم: 4953 ج 6 ص 173، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان حديث رقم: 252 [↑](#footnote-ref-11)
12. حديث"...ثم حُبب إليه الخلاء.." رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها**، باب بدء الوحي** ج 1 ص 6 رقم الحديث 3 [↑](#footnote-ref-12)
13. 13 وقد ألف الشيخ محمد عزت دروزة كتابا أسماه: سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم. وكذلك الدكتور محمد أبوشهبة كتابا أسماه: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة. [↑](#footnote-ref-13)
14. تفسير القرآن العظيم، ج: 8، ص436 [↑](#footnote-ref-14)
15. البخاري ج: 3 حديث رقم 4929 كتاب التفسير/ " باب إن علينا جمعه وقرآنه" ص: 163 [↑](#footnote-ref-15)
16. مسند الإمام أحمد، ج: 1 ص 189 مسند أبي بكر الصديق حديث رقم: 11 [↑](#footnote-ref-16)
17. 17 البخاري بـاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى **{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى}** ج 5 ص 74 حديث رقم 3953 . [↑](#footnote-ref-17)